

نجد

منذ القرن العاشر الهجري

حق ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

^(١) علاقتها بالقوى المحيطة بها :

من المعروف لدى كثير من دارسي تاريخ هذه البلاد انه بعد ان ضعفت الدولة الاخضرية التي أسسها محمد بن يوسف العلوي في منطقة اليمامة أصبحت نجد أكثر تفككا من ذي قبل ، كما أصبحت هدفا لغزوات القوى المحيطة بها فلكا لامتداد نفوذها سواء تلك القوى المتمثلة في الدول التي قامت في شرق الجزيرة العربية (الاحساء) او تلك القوة المتمثلة في اشراف مكة .

ويهمنا في هذه الصفحات من الدول التي قامت في منطقة الاحساء دولة الجبريين التي بلغت درجة كبيرة من القوة ، والتي بدأت غزواتها لنجد منذ منتصف القرن التاسع الهجري حيث يقول المؤرخ عبد الله بن بسام :

« وفي هذه السنة (٨٥١) غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الاحساء والقطيف ومعه جنود عقيلة من البادية والعاصرة وقصد الفرج وصبيح الدواسر وعايذ على الفرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم واغنامهم وبعض ابلهم واقام في الفرج نحو عشرين يوما ثم قفل عائدا الى وطنه » (٢)

واستمرت غزوات الجبريين لنجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري واولائل القرن الذي تلاه، ويلاحظ أن أكثر تلك الغزوات كان موجها ضد قبيلة النمراس على أن قبائل أخرى كالفضول وآل عايذ وآل مقبرة وسبيع تعرضت لهجمات الجبريين ولكن بدرجة أقل من تعرض القبيلة السابقة . وكان من بين أسباب تلك الغزوات اعتداء القبائل المذكورة على بواد تابعة لحاكم الاحساء أو قوافل تجارية قائمة من تلك المنطقة الى نجد ، وكثيرا ما تكللت تلك الغزوات بالنجاح (٣)

وكان للجبريين نفوذ في نجد يوضعه أن بعض المصادر وصفت أجود بن زامل أحد حكامهم المشهورين بأنه « رئيس أهل نجد ورأسها » . (٤) وتدل عليه أيضا قصيدة جميثن اليزيدي العنفي التي يمدح فيها مقرن بن أجود بقوله :

حمى بالقنا هجرا الى ضاحى اللوى	الى المراض المنقاد نايى القرايد
ونجد رمى ربعي زاهى فلاتها	على الرضم من سادات لام وخالد
وسادات حجر من يزيد ومزيد	قد القادهم قود الفلا بالقلايد (٥)

على أن الغلاطات الداخلية حول الحكم انهكت الدولة الجبرية ، وزاد من مصيبتها تدخل البرتغاليين في المناطق التابعة لها ، وهو التدخل الذى ذهب ضحيته مقرن بن أجود نفسه سنة ٩٢٧هـ (٦) ثم انتهت هذه الدولة على يد راشد بن مقامس عام ٩٣٢هـ (٧)

وفي الوقت الذى كان فيه البرتغاليون يهبطون جزيرة العرب من عدة جهات بحرية كان العثمانيون يعرّضون انتصارات على خصومهم المماليك . وحين استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ انضمت الحجاز رسميا تحت النفوذ العثماني واتجهت انظار العثمانيين الى بقية جزيرة العرب رغبة في التوسع ودفعاً لخطر البرتغاليين من منطقة تضم مقدسات اسلامية ، وقد نجح العثمانيون في التوغل في اليمن وصارعوا البرتغاليين على شواطئ البحر الاحمر كما صارعوهم في منطقة الخليج ، ثم استولوا على الاحساء سنة ٩٦٣ هـ (٨) وبانت نجد محاطة من جميع جهاتها تقريبا بمناطق خاضعة للعثمانيين الامر الذى يبدو أن اشراف مكة حاولوا استغلاله لمصلحتهم . ومن حسن حظ هؤلاء الاشراف أنه في تلك الفترة بالذات ظهرت بينهم شخصيات قوية كابي نسي الثاني قيادات غزواتهم لنجد حين قام حسن بن ابي نسي المذكور بغزوة اخترق بها نجدا حتى وصل الى العارض وهاجم بلدة ممكان التى أصبحت جزءا من مدينة الرياض الحالية وذلك سنة ٩٨٦ هـ ثم هاجم امكنة تقع جنوب المنطقة السابقة بعد ذلك بثلاث سنين (٩) واستمرت غزوات الاشراف لنجد بعد ذلك وان كانت متباعدة في أوقاتها (١٠)

ويلاحظ أن أكثر غزوات الأشراف هذه كانت موجهة ضد سكان المدن والقصرى
 يعكس هجمات الجبريين التي كانت موجهة عموماً ضد رجال القبائل . وبما أن
 العصر عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فإنه من المستبعد أن تكون حماية طرق تلك
 القوافل سبباً لغزوات الأشراف لنجد . والمرجح أن تلك الغزوات كانت تهدف إلى
 الحصول على فنائم وفرض سلطة عليا على البلاد تفرض من خلالها ضرائب سنوية
 على السكان . والمتتبع لاجراءات الأشراف يرى ذلك يوضح فقد كان على بعض
 البلاد النجدية في وقت من الاوقات أن تدفع مبلغاً من المال كل سنة إلى خزينة مكة (١١)
 كما كان فشل بعض هذه البلاد في دفع المبلغ المفروض عليها أو معاولتها الثورة
 سبباً في معاقبتها بشدة (١٢)

وفي غضون ذلك كانت قبيلة بني خالد أخذت طريقها إلى الزعامة حتى تمكنت
 من فرض قوتها في شرق جزيرة العرب خلال النصف الثاني من القرن العاشر عشر
 الهجرى . كما كان نفوذ العثمانيين أخذاً في التقلص نتيجة المتاعب الداخلية
 والفارسية التي كان العثمانيون يواجهونها ، وكانوا قد اضطروا إلى ترك اليمن
 بسبب الثورة التي قامت ضدهم هناك . وقد استغل بنو خالد هذه الفرصة فهاجموا
 بقيادة براك بن غرير قوات العثمانيين في الاحساء وطردوهم من تلك المنطقة
 سنة ١٠٨٠ هـ (١٣)

وما أن تمكن بنو خالد من السيطرة على مقاليد الامور في الاحساء حتى اتجهت
 انظارهم إلى مد نفوذهم في بعض مناطق نجد فقزا براك بن غرير آل نيهان
 قرب سدوس عام ١٠٨١ هـ وبعد سبع سنوات هاجم آل عساف قرب الدرعية (١٤)
 ومضى بنو خالد يفتزون نجداً ويعاولون مد نفوذهم على اجزاء منها (١٥) مزاحمين
 بذلك نفوذ اشراف مكة . وكانت علاقة النجديين بحكام الاحساء ذات أهمية خاصة
 لأن منطقة الاحساء كانت متنفساً اقتصادياً لنجد حيث كان يذهب إليها النجديون
 بحثاً عن الرزق خاصة في اوقات الشدة والقحط (١٦) ، كما كانوا يترددون إليها
 ليستوردوا منها او عن طريق موانئها ما يحتاجون إليه .

وعلى أية حال فإننا حينما نتكلم عن نفوذ تلك القوى المحيطة بنجد في هذه المنطقة فإننا
 لا نعني به النفوذ القوي الذي يفرض وجوده على سائر الحوادث بدرجة كبيرة ، ذلك
 أنه لا نفوذ الجبريين في نجد ولا نفوذ اشراف مكة في بعض جهاتها أو نفوذ بني خالد
 في بعض جهاتها الاخرى أحدث فيها نوعاً من الاستقرار السياسي ، فالعروب بسين
 البلدان النجدية استمرت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة لم يتوقف أو تفتت حدة

الهوامش والمصادر

- ١ - الهدف الرئيسي من هذه الملاحظات إعطاء فكرة مختصرة عن الاوضاع السائدة في نجد خلال تلك الفترة سياسياً واجتماعياً وديناً .
- ٢ - « تحفة المشتاق في اخبار نجد والعجاز والعراق » صورة نقلها من المخطوطة الاصلية نور الدين شريه ، ورقه ٨ ، وكلام ابن يسام صريح في أن زامل بن جبر كان حاكم الاحساء والقطيف آنذاك ، ولكن الساموي في « الضوء اللامع » (القاهرة ، ١٣٩٣ هـ) ج ١ ص ١٩٠ يقول أن سيف بن زامل هو الذي انتزع حكم تلك المنطقة من بني جرول . وقد يكون سيف هو الذي قسام بقلبيك الفيزوة .
- ٣ - عبد الله بن يسام . المصدر السابق . الورقات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ و ١٦ .
- ٤ - السهموي - « وفاء الوفا » (القاهرة ، ١٣٣٦ هـ) ج ٢ ص ٢٨٨ .
- ٥ - حمد بن لميون - « تاريخ حمد بن لميون » (مكة ، ١٣٥٧ هـ) ص ٢٢ ، قارن الشيخ حميد الجاسر - « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » (الرياض ، ١٣٨٦ هـ) ص ٨٣ .
- ٦ - ابن اياس - « بدائع الزهور » (القاهرة ، ١٢٨٠ هـ) ج ٥ ص ٤٢١ - ذكر الاستاذ جورج دنتر في مقاله « جزيرة العرب » في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغة الانجليزية أن مقرنا كان عم وخليفة أجود . والواقع أن مقرنا كان ابن أجود لا عمه كما أنه لم يختلف على الحكم وإنما خلفه أجود ابنه محمد .
- ٧ - محمد آل عبد القادر - « تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد » (الرياض ١٣٧٩ هـ) ج ١ ص ١٢١ .
- ٨ - محمد آل عبد القادر - المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ .

٩ - عبد الملك المصاوي : سبط النجوم الموالي ٠٠ هـ (القاهرة ، ١٢٨٠ هـ) ج ٤ ص ٢٦٨ - قارن
أبن بكر هـ عنوان المجلد ٠٠ هـ طبعته وزارة المعارف السعودية الثانية ١٢٩١ هـ ج ٢ -
سوابق - ص ١٩٥ .

١٠ - المصدر السابق ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ و ٢٢٨ .

١١ - المصدر السابق ص ١٩٥ .

١٢ - ابراهيم بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ٠٠ هـ (الرياض ، ١٢٨٦ هـ) ص ٧٠
Gerald de Gawry " Rules of Mecca " (London , 1951) p. 158.

١٣ - ابن بكر - المصدر السابق ، ج ٢ - سوابق - ص ٢١١ .

١٤ - المصدر السابق ص ٢١٢ و ٢١٣ - ١٥ - المصدر السابق ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٥
٢٢٨ ، ٢٤١ و ٢٢٣ . ١٦ - المصدر السابق ص ٢١٣ و ٢٢٥ .

Abn Hahoima. "Hirtory of Eastern Arabia (1750—1800)" (Beirut,
1963) p. 40.